

المستجدات البيئية المعاصرة وعلم فقه التحولات (التغيرات المناخية نموذجاً)

م. مازن إبراهيم المساوي
رئيس قسم فقه التحولات والدعوة جامعة الوسطية الشرعية

أ.د. أحمد محمد السقاف
أستاذ التربية البيئية والاجتماعية
بجامعتي حضرموت والوسطية الشرعية

المستجدات البيئية المعاصرة وعلم فقه التحولات

(التغيرات المناخية نموذجاً)

م. مازن إبراهيم المساوي

رئيس قسم فقه التحولات والدعوة

جامعة الوسطية الشرعية

أ.د. أحمد محمد السقاف

أستاذ التربية البيئية والاجتماعية

بجامعتي حضرموت والوسطية الشرعية

الملخص

(Abstract)

حظيت المستجدات والظواهر البيئية عموماً، والتغيرات المناخية خصوصاً، باهتمام متزايد من العلماء والباحثين اليوم لما لها من مؤثرات ومخاطر على حياة البشرية، بل وعلى مستقبل الحياة على الأرض! إذ تشير الدراسات إلى أن ظهور آثار تغير المناخ عالمياً وإقليمياً بدت مع نهاية القرن العشرين، وأن تأثيراتها سوف تزداد قبل منتصف القرن الحالي! ولعل الواقع وما يشهده اليوم يؤكد حدوث مخاطر ومؤثرات تلك الظواهر البيئية في كثير من أرجاء العالم. إلا أن دراسة تلك الظواهر والمستجدات وعلاقتها بالدين الاسلامي من منظور علم فقه التحولات ومكوناته، لم تحظ بعد بالدراسة العلمية الوافية. وعليه تأتي هذه الدراسة بهدف ابراز العلاقة بين المستجدات والظواهر البيئية المعاصرة، من خلال ظاهرة التغيرات المناخية وعلم فقه التحولات، انطلاقاً من حديث الرسول ﷺ " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً.... الحديث". وبمنهجية وصفية تحليلية أظهرت الدراسة أهمية الربط بين تلك التنبؤات النبوية العممية من خلال حديث الرسول الأنف الذكر، والظواهر والمستجدات البيئية من خلال مشكلة التغيرات المناخية. وتوصلت الدراسة الى جملة من النتائج والتوصيات منها: أن التغيرات المناخية ومظاهرها أصبحت حقيقة علمية بدأت مؤثراتها ومؤثراتها على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي تظهر بمختلف أرجاء العالم، وأن هناك دراسات علمية متخصصة أكدت أن أرض العرب كانت مروجاً، ويمكن أن تعود وفقاً لمؤثرات التغيرات المناخية وتأثيراتها في المنطقة العربية التي أكدتها البيانات الصادرة عن الهيئة الحكومية للتغيرات المناخية (IPCC) والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO)، والتي أكدت أيضاً أن تلك المؤثرات (من أمطار وفيضانات) يمكن أن تكون أكثر اتساعاً ووضوحاً مما تبينه الافتراضات الحالية وأساء مما هو متوقع! وتوصلت الدراسة الى جملة توصيات من أهمها حث الباحثين على الربط بين المعرفة والعقيدة لإعادة اللحمة بينهما وبما يخدم ترسيخ القيم والعقيدة الإسلامية في شرعيتها ووسطيتها، واجراء دراسات تربط بين علم فقه التحولات بوصفه علماً مستجداً، وما تواجهه الحياة البشرية من مستجدات و تغيرات نتج عنها مزيداً من المشكلات البيئية التي تهدد الحياة على الأرض.

الكلمات المفتاحية: المستجدات البيئية، علم فقه التحولات، التغيرات المناخية.

المستجدات البيئية المعاصرة وعلم فقه التحولات

(التغيرات المناخية نموذجاً)

المقدمة (أهمية الدراسة ومسوغاتها) :

منذ نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين تواجه الأرض تغيرات ومستجدات بيئية وصفت بكونها أزمات بيئية خطيرة ومتفاقمة ، ليس أقلها الأزمة المائية ، والفقر ، وسوء استخدام الموارد الطبيعية عموماً ، فضلاً عن ارتفاع درجة حرارة الأرض (ظاهرة الاحتباس الحراري) وما ينتج عن ذلك من تغيرات مناخية بدت مؤثراتها ومخاطرها في أنحاء كثيرة من العالم اليوم ، دون اهتمام بما سيترتب على ذلك من عواقب ومؤثرات على السكان الحاليين وعلى الأجيال القادمة . وعلى الرغم من أن كثيراً من المختصين والمعنيين يملكون الكثير من المعرفة والخبرة عن تلك المشكلات ، إلا أن القصور على المستوى القيادي وعدم أو ضعف وعي سكان الأرض بحجم ونتائج تلك المشكلات يعني فشل المنظومة العالمية المعنية بتلك المشاكل في اتخاذ الإجراءات التصحيحية اللازمة في الوقت المناسب ووضع المفاهيم والمعالجات موضع التطبيق . والحقيقة أن مشكلات سوء التصرف والسلوك غير العقلاني تجاه موارد الأرض هي لب هذه الأزمة ومحورها ، وهذا يقتضي في الأساس الحاجة إلى إعادة النظر في فقه (المنظور الفلسفي) علاقة الإنسان بالبيئة تلك العلاقة المرتكزة على السيطرة المطلقة والنظرة النفعية، النابعة أصلاً من الفلسفة المادية النفعية التي تغفل الجوانب الوجدانية والعقائدية وحق البيئة (السقاف 2010 : 2) ، بل أن أحد مشكلاتنا الأساسية في نظرتنا الى العالم عندما بدأ الفصل بين القيم والمعرفة اذ أن الفصل بينهما كان حدثاً خطيراً ليس لتأثيره على تاريخ الفكر الغربي فحسب ، بل ولأنه أدى على المدى البعيد الى مفهوم عن الكون بوصفه " آلة أشبه بالساعة الكبيرة" وتلك النظرة الآلية قادت الى الانحسار التدريجي للقيم الجوهرية التي استعيض عنها بقيم أدائية ، وبالتالي فإن مخزوننا المعرفي الهائل عن العالم المادي كان على حساب القيم الانسانية الجوهرية ... "وان بعث القيم الجوهرية واعادتها الى سابق عهدها في مركز حياتنا قد يتم فعلاً ولكن على حساب " تعبدنا للعلم وللوقائع المادية اللذان رفعناهما غلواً الى مصاف الآلهة " (سكوليموفسكي 1992 : 30-29) .

وحتى مفهوم التنمية المستدامة بوصفه مفهوماً يسعى الى إعادة النظر في علاقة إنسان اليوم بالبيئة ، و الذي تم التأكيد عليه _ أي مفهوم التنمية المستدامة _ منذ قمة الأرض الثانية (جوهانسبرج 2002 م)

مازال يفتقر إلى وضوح الرؤيا والمبادئ والمضامين ، وهذا ما يؤكدّه أيضا موران (2002) بقوله " فاختزال التنمية في المنظور التقنو- إقتصادي المادي شيء لم يعد مقبولاً ، بل نحن بحاجة إلى مفهوم أغنى يأخذ بالاعتبار الجوانب الوجدانية والأخلاقية والعقلية"(موران 2002) .

منهجية الدراسة :

أتبعت الدراسة المنهج الكيفي أو النوعي والبحث الكيفي أو النوعي هو مجال بحثي ازداد الاهتمام به منذ النصف الثاني من القرن العشرين وتسارع تطوره في العقود الثلاثة الأخيرة ، وعرف بأنه " أي استخدام حسن التصميم لأدوات وتقنيات بحث (غير كمية أو رقمية) في مقارنة ظاهرة ما أو موضوع اجتماعي أو انساني " (شيا 2018 : 7) . كما وصف البحث النوعي أيضاً بأنه " نوع من أنواع البحوث يصل الى النتائج بطرق غير إحصائية أو كمية ويسعى الى التبصر، والفهم ، والتطبيق على المواقف المشابهة " (أبو دقة 2017 : 8) .

هدف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى المساهمة في إعادة اللحمة بين القيم والمعرفة ، من خلال إبراز العلاقة بين المستجدات والظواهر البيئية المعاصرة من خلال ظاهرة التغيرات المناخية ، وعلم فقه التحولات انطلاقاً من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " الذي رواه الأمام أحمد والذي ينص : " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، وحتى ييسر الراكب بين العراق ومكة، لا يخاف إلا ضلال الطريق، وحتى يكثر الهرج "، قالوا: وما الهرج؟ يا رسول الله، قال: " القتل " (مسند أحمد (427/14)، (8832)) *¹ .

¹ أنظر أيضا بروايات أخرى : (1) مسند أحمد، مسند: (أبي هريرة-رضي الله عنه-)، (231/15)، (9395)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سهيل -وهو ابن أبي صالح- فمن رجال مسلم .
(2) ينظر: صحيح مسلم، باب: (الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها)، رقم: (157)، (701/2).

مشكلة الدراسة :

تتعدد المستجدات البيئية وتتنوع في عالم اليوم في ظل سعي الانسان لمزيد من استغلال موارد البيئة ومعطياتها دون تراث أو فهم متعمق، وعلى الرغم مما انجز من منجزات علمية وتكنولوجية خدمت البشرية في كثير من احتياجاتها ، إلا أنها أحدثت الكثير من التغيرات والمؤثرات في أنظمة البيئة ومكوناتها مما أوجد مشكلات بيئية عالمية لعل من أبرزها مشكلة التغيرات المناخية التي بدأت مؤثراتها ومؤثراتها تظهر بشكل واضح من خلال تكرار الكوارث الناتجة عن الامطار والفيضانات في أماكن ، والجفاف وارتفاع درجات الحرارة في أماكن أخرى من الارض ، وما يترتب على ذلك من مخاطر ووفيات وتشريد الملايين من مواقع سكنهم ، وليس بخافي ما تنقله التقارير الدولية للمنظمات والجهات ذات العلاقة ، اذ صرح الامين العام للمنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO)، البروفيسور بيتيري تالاس: إن زيادة حرارة الارض (1.5 درجة مئوية) ليست نتيجة إحصاءات عشوائية، بل هي مؤشر على النقطة التي ستصبح فيها التأثيرات المناخية أشد ضرراً بالناس بل وبالكوكب بأسره" (المنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO) (2022) . "، يؤكد ذلك ما تتناقله الاخبار والقنوات الفضائية يومياً من تلك المشكلات والكوارث اليومية ليس أقلها الجفاف في أوربا مؤخراً ، الفيضانات والاعاصير في أجزاء من آسيا (الباكستان / سبتمبر 2022) وأفريقيا (السودان/ ، سبتمبر 2022) ، وحرائق الغابات التي شهدتها أوربا مؤخراً نتيجة لارتفاع درجات الحرارة والجفاف .

وعلى الرغم من الاهتمام الذي حظيت به مختلف المستجدات والمشكلات البيئية من قبل الباحثين على مستوى العالم بالأمس واليوم ، الا أنه قل - إن لم يكن من النادر - أن تم تناول هذه المستجدات من خلال ربطها بالدين والدين الاسلامي بالذات ، ويبدو سبب ذلك التخوف من الخروج عن "حيادية وموضوعية المنهج العلمي" ! وانطلاقاً من المسلمتين التي اعتمدهما هذه الدراسة ، تتناول هذه الدراسة نموذج من المستجدات البيئية متمثلاً بالتغيرات المناخية وربطها بالدين الاسلامي وفقاً لمنطلقات وأسس علم فقه التحولات ، وكيف يمكن أن تظهر علاقة الارتباط تلك من خلال النصوص القرآنية والاحاديث النبوية المتعلقة بهذه المشكلات المستجدة .

مسلمات (افتراضات) الدراسة: استندت الدراسة على مسلمتين أساسيتين:

الأولى : أن كون الإسلام آخر الأديان السماوية ، فلا بد أن يكون له موقف من كافة المستجدات على وجه الأرض ، ومن هنا تكمن أهمية علم فقه التحولات الذي يبحث في المتغيرات والمستجدات كافة وعلاقتها بالدين الاسلامي.

الثانية : أن حيادية البحث العلمي و موضوعيته لا تعني تجاهل عقيدة الباحث أو التخلي عنها ، بل أن لا يجعل الباحث من العقيدة حائلاً دون الوصول إلى الحقيقة ، أما إذا توافقت العقيدة مع الحقيقة فهذا يعني سلامة العقيدة وهذا ما تستند اليه هذه الدراسة ويؤمل أن تصل اليه نتائجها .

حدود الدراسة : تقتصر هذه الدراسة في تناولها للمستجدات البيئية على مشكلة التغيرات المناخية ، وفي ربطها بعلم فقه التحولات على حديث الرسول الأنف الذكر " لا تقوم الساعة الحديث" .

مصطلحات الدراسة :

التغيرات المناخية : يوصف التغير المناخي بأنه " حدوث تغير أو تحول في الخصائص المناخية العادية أو السائدة في منطقة ما بما يؤدي إلى حالة غير طبيعية يمكن أن تترتب عليها آثار ضارة بالبيئة والإنسان " وعلى المستوى العالمي يمكن أن يوصف التغير المناخي بأنه حدوث خلل في توازن مكونات الغلاف الجوي نابع أساساً من الأنشطة البشرية بما يؤثر على مكونات وحرارة الغلاف الجوي وبالتالي تغير المناخ العالمي (السقاف 2006، السقاف 2008) .

علم فقه التحولات : عرف علم فقه التحولات بأنه " فهم ما يجري من سُننِ التَّغْيِرَاتِ والحوادثِ في المراحلِ المُتَقَلِّبَةِ عبر الأزمنة، وما يترتَّبُ على ذلك التَّحوُّلِ من نَقْضٍ أو قَبْضٍ أو صلاحٍ أو فسادٍ أو بشاراتٍ " **"والتَّحوُّلُ: مُشْتَقٌّ من تَحَوَّلَ ، يتحوَّلُ أي تَغَيَّرَ ، يتغيَّرُ ... ويعتمدُ فِقهُ التَّحوُّلاتِ في تأصيله وسردِ وقائعه على جُملةِ أحاديثِ السَّاعةِ والفِتَنِ ومُضِلَّاتِها التي تكَلَّمَ عنها الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم " (المشهور 2010 : 67) .**

الخلفية النظرية للدراسة :

أولاً : التغيرات المناخية : أسبابها ونماذجها :

يحتوي الغلاف الجوي على بعض الغازات ذات تركيزات ضئيلة مثل ثاني أكسيد الكربون (CO₂) ، والميثان (CH₄) والنيتروز (N₂O) وبخار الماء، التي من خواصها عدم السماح بنفاذ الأشعة الحرارية (تحت الحمراء) ، وفي ظل تزايد نسب بعض هذه الغازات مؤخراً ، فإن هذا يؤدي الى احتباس هذه الأشعة داخل الغلاف الجوي وتعرف هذه الظاهرة باسم " الاحتباس الحراري " - وهي ظاهرة ارتفاع درجة الحرارة في بيئة ما نتيجة تغيير في سيلان الطاقة الحرارية من البيئة وإليها (بازار 2011) . ويضطلع تركيب الهواء بنسب مكوناته الطبيعية دوراً هاماً في عملية "الاتزان الطاقى لكوكب الأرض" ، وهذا يعني أن كمية الإشعاع الشمسي التي تدخل إلى الغلاف الجوي تساوي تماماً كمية الطاقة لإشعاع الأرض والامتشتت من الغلاف الجوي إلى الفضاء الخارجي. أن الخلل الحادث في تركيز غازات الغلاف الجوي، خاصة في تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون بسبب فعاليات الإنسان أدى إلى احتباس جزء من الطاقة داخل الغلاف الجوي، مما تسبب في التغيير في معدلات درجة حرارة سطح الأرض وتكوين ما يعرف بظاهرة الاحتباس الحراري. ولما كانت مقدرة هذه الغازات على حجز الحرارة داخل الغلاف الجوي منوطة بكمية هذا الغاز في الهواء، فإن اختلال نسبة مكونات الغلاف الجوي يؤدي إلى اختلال قدرة هذا الغلاف على حفظ درجة حرارة الأرض ارتفاعاً أو انخفاضاً. الجدول (1) المبين أدناه يوضح أهم الغازات التي يتسبب زيادة تركيزها في الغلاف الجوي إلى ظاهرة الاحتباس الحراري. وأيضاً يوضح الجدول النسبة المئوية لكل نوع من هذه الغازات في مشكلة الاحتباس الحراري، إذ يتصدر غاز ثاني أكسيد الكربون هذه المجموعة ويتسبب بأكثر من 60% من احتباس إشعاع الأرض من الأشعة تحت الحمراء في طبقة التروبوسفير (بازار 2011) .

جدول (1) يبين أهم الغازات المسببة لظاهرة الإحتباس الحراري ونسبة تأثيرها

| الغاز | النسبة المئوية (%) |
|--|--------------------|
| ثاني أكسيد الكربون CO ₂ | 64% |
| الميثان CH ₄ | 19% |
| الكلوروفلوكاربنونات CFCs | 11% |
| ثاني أكسيد النيتروجين N ₂ O | 6% |

المصدر : (بازار 2011 :) .

وعليه فإن مشكلة الاحتباس الحراري تعد سبباً رئيساً في ظهور ظاهرة التغير المناخي من خلال تزايد نسبة غازات الاحتباس الحراري ومن أهمها ثاني أكسيد الكربون (CO2) ، والميثان (CH4) ، ومركبات الفلوروكربون (HFC5 PFC5) ، الناتجة عن تزايد مخلفات الصناعة وتنوعها ، فضلاً عن أن كثيراً من الأنشطة البشرية وخصوصاً في القرن العشرين نتج عنها استخراج وحرق مليارات الأطنان من الوقود الاحفوري لتوليد الطاقة، مما تسبب في زيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون بالإضافة إلى تدهور واستنزاف الغطاء النباتي الطبيعي وانتشار التصحر وحرائق الغابات ، في حين تبدو مظاهر التغير المناخي في ارتفاع في درجات حرارة الأرض مما يؤدي إلى ظهور اضطرابات في الأنظمة المناخية (الهيئة العامة لحماية البيئة 2005).

نماذج (سيناريوهات) التغير المناخي:

على الرغم من وجود أكثر من نموذج في تقدير التغيرات المناخية ، إلا أن بيانات وتقييمات الهيئة الحكومية للتغيرات المناخية (IPCC) وما قدمت من نماذج وتوقعات هي الأكثر أهمية بوصفها أكثر الهيئات العلمية في العالم قدرة على متابعة التغيرات المناخية لما تقوم به من تقييم مستمر لأحوال المناخ وعلومه وآثاره البيئية والاجتماعية والاقتصادية منذ ثمانينات القرن الماضي بالتعاون مع هيئة البيئة للأمم المتحدة ومنظمة الأرصاد الجوية العالمية(الناصر 2004) . ولعل أول نموذج يشار إليه وهو الذي يفترض تضاعف تركيزات غاز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي ، فإن درجة حرارة الكرة الأرضية سوف ترتفع ما بين (2 - 5) درجة مئوية. في حين أن النموذج الثاني يفترض بقاء معدلات انبعاث ثاني أكسيد الكربون في المعدلات العادية السائدة خلال ثمانينات القرن الماضي ، فإن درجات الحرارة سوف ترتفع ما بين (1.5-3) درجة مئوية في غضون القرن الحالي(طلبة 1992) . إلا أنه وفقاً لأحدث تقرير مناخي جديد أصدرته المنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO)، ثمة احتمال بنسبة (93%) أن يتجاوز متوسط درجة الحرارة للسنوات الخمس القادمة (2022-2026) متوسط السنوات الخمس الماضية (2017-2021) " (المنظمة العالمية للأرصاد الجوية WMO 2022) . وتؤكد الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC) إن المخاطر المتصلة بالمناخ التي تهدد النظم الطبيعية والبشرية تزداد مع إحترار عالمي بمقدار (1.5) درجة مئوية قياساً بالوضع الحالي ، كما جاء في التقرير الذي أعده الدكتور (Leon Hermanson)، من مكتب الأرصاد الجوية بالمملكة المتحدة " أن أحدث تنبؤاتنا المناخية تُظهر أن درجة

الحرارة العالمية ستواصل الارتفاع، مع احتمال متعادل أن تتجاوز إحدى السنوات في الفترة 2022-2026 مستوى ما قبل العصر الصناعي بمقدار (1.5) درجة مئوية....وهذا يُظهر أننا نقرب أكثر من أي وقت مضى من الوضع التي يمكن فيه تجاوز (1.5) درجة مئوية لفترة طويلة." (المنظمة العالمية للأرصاد الجوية WMO 2022) .

و سبق وأكدت الهيئة الحكومية (IPCC) أن سمك المسطحات الجليدية في المحيط المتجمد الشمالي انخفض بنسبة (40 %) ، كما تم التأكد أن مستوى سطح مياه البحار قد ارتفع ، وأن هذه الزيادة تراوحت ما بين (4-10 سم) خلال المائة سنة الأخيرة ، وأن هناك دلائل كثيرة على تغير أنماط الطقس وظهور عواصف أكثر وتيارات بحرية أشد (الناصر 2004) . كما أكدت الهيئة نفسها في مؤتمر باريس (فبراير 2007م) أن معدلات درجة حرارة الأرض ممكن أن ترتفع ما بين (5.8 - 8.5) درجة مئوية، وأن مستوى سطح البحر ممكن أن يرتفع نحو (88 سم) بحلول عام 2100! قياساً بمعدلات مطلع العقد التاسع من القرن العشرين. ، بينما توقعت دراسات أخرى ارتفاع منسوب سطح البحر ما بين (38-100) سم بحلول عام 2100، وفي دراسة اجريت في فيتنام توقع فيها الباحث زيادة منسوب سطح البحر ما بين (50-140) سم (Nguyen 2009) .

يتبين مما سبق عرضه أن التغيرات المناخية ومظاهرها أصبحت حقيقة علمية ، وبدأت مؤشراتها ومؤثراتها على المستوى العالمي والإقليمي تظهر في مناطق كثيرة من العالم ، واستناداً إلى أوثق وأحدث البيانات الصادرة عن الهيئة الحكومية (IPCC) والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO) بهذا الخصوص، فإن أنماط الهطول المتوقعة لعام 2022 تشير إلى زيادة احتمال أن يشهد جنوب غربي أوروبا ، وجنوب غربي أمريكا الشمالية أحوالاً أكثر جفافاً، وأن يشهد شمالي أوروبا ، ومنطقة الساحل وشمال شرق البرازيل ، وأستراليا أحوالاً أكثر مطراً! ويبدو أن واقع الحال اليوم يؤكد صحة ما جاء في هذه التنبؤات التي وضعت في العام 2021 . وعليه تم التأكيد في أن التغيرات المناخية وتأثيراتها يمكن أن تكون أكثر اتساعاً ووضوحاً مما تبينه الافتراضات الحالية ، و بناءً عليه يمكن أن تكون المناطق الاقل مطراً اليوم اكثر مطراً غداً .

وتظهر وقائع الظواهر المناخية في المنطقة العربية للسنوات الاخيرة تكرار العواصف والاعاصير والمنخفضات الجوية في المنطقة وما يتبعها من أمطار غزيرة وسيول جارفة تسببت في كثير من الخسائر

البشرية والمادية ، ففي شبه الجزيرة العربية بينت الاحصائيات أن نحو (60) إعصار استوائي / مداري أصابت المنطقة خاصة اليمن وسلطنة عمان تسببت العواصف تلك عن (1693) حالة وفاة ، وخسائر لا تقل عن (8.3) مليار دولار أمريكي ، . وكان إعصار غونو أقوى وأخطر تلك الأعاصير ، والذي تسبب في (50) حالة وفاة ، وأضرار بلغت قيمتها (4) مليارات دولار أمريكي عندما ضرب عُمان في عام 2007 . ويعود السبب الرئيس في أضرار تلك الأعاصير المدارية في شبه الجزيرة العربية إلى الفيضانات

(Ganiga and Kumara 2008) . ولم تكن شدة العواصف في اليابسة معروفة تماماً إلا منذ عام 1979 تقريباً (WMO 2011) . ويبدو أن من أهم تلك العواصف المدارية التي ضربت المنطقة مؤخراً وخاصة اليمن هو ما حصل في أكتوبر / تشرين الأول 2008 - أدت تلك العاصفة المدارية فوق جنوب اليمن وحضرموت بالذات ، إلى سقوط أمطار غزيرة تسببت في فيضانات شديدة. في جميع أنحاء البلاد، دمرت الفيضانات (2826) منزلاً وألحقت أضراراً ب (3,679) منزلاً ، تاركة حوالي (25000) شخصاً بلا مأوى (Suzana and Camargo 2011) . كما أن آثار الفيضانات عطلت سبل معيشة حوالي (700000) من السكان. وقدرت الخسائر الإجمالية بمبلغ (874.8) مليون دولار أمريكي، على الرغم من أن الخسائر المتبقية من البنية التحتية المتضررة قدرت بتكلفة إضافية قدرها (726.9) مليون دولار أمريكي. ووصفت بكونها ثاني أسوأ كارثة طبيعية مسجلة في اليمن، بعد عاصفة عام 1996 (Keith 2015)

ويبدو مما سبق عرضه ، وبالعودة الى حديث الرسول (ﷺ) الأنف الذكر وردت عبارة " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب ... الحديث " . وعليه يمكن الاستنتاج وفقاً لمعطيات التغيرات المناخية في منظور التنبؤ العلمي أن عودة الامطار وبالتالي المروج والغابات الى أرض العرب بدأت تظهر مؤشراتنا اليوم استناداً الى تنبؤات المختصين ووقائع أحوال المناخ اليوم في كثير من أقاليم العالم ومنها المنطقة العربية ، وبالتالي يمكن القول أن تحقق ما جاء في حديث الرسول (ﷺ) ماهي الا مسألة وقت ولكن لا نستطيع تحديده وان ظهرت مؤشرات تلك العودة اليوم !

ثانيا : علم فقه التحولات والتغيرات المناخية :

إن فقه التحولات ... هو المعني بالتغيرات ويربط فيما بينها وبين الثوابت في وحدة شرعية متمازجة مترابطة لتبرز بوعي مهمات الديانة في الربط الشرعي بين شؤون الدين والحياة (المشهور 2015 : 49 .50) بخلاف ما يدعيه الفكر المادي الغربي في موقفه من الدين والأخلاق وتشويه صورة الدين وإبعاده عن الجانب الحياتي في المجتمعات ، بل وعمل ذلك الفكر على محاربة الغيبيات ورفض القيم والأخلاق الشرعية المدعومة بالوحي الرباني ، كما أن علماء المادة صرفوا العقل الإسلامي المعاصر - كما صرفوا العقل الإنساني بعمومه- عن الغيبيات والمسلمات واليقينيات الكونية، وربطوها بالعلم النظري الحديث، وشككوا في الثوابت العقدية باسم البحث العلمي، والحقائق المادية المطلقة (علوان 2006: 120).

ان فصل الوقائع عن القيم وفصل الانسان عن معرفته ، وفصل الظواهر المادية عن كل الظواهر الأخرى _ بما فيها الدينية _ نجم عنه " ذرزة العالم" المادي والعالم البشري كذلك ... لقد اغترب الانسان عن معرفته وقيمه والسبب الأساسي لذلك الإنسلا ب المعاصر هو تصور مغلو ط عن كون كل ما فيه مفصول ومنقسم "والانسان فيه مذرذر وممزق " ... ان إعادة التكامل بين المعرفة والقيم ينبغي أن يتم لكي نضمن نجاة البشرية ، ويجب أن ندرك أننا لن نستطيع أن نواجه كم المشاكل التي تسبب فيها النمط العلمي التقني الحالي والتفاعل مع البيئة ومع غيرنا من البشر الا عندما تكون معرفتنا متحالفة مع القيم وتسخر لخدمتها (سكوليموفسكي 1992 : 43- 47) . وعليه فأن اهتمام علم فقه التحولات بربط المتغيرات والمستجدات بالنص الشرعي وتوضيح علاقة تلك المتغيرات والمستجدات بالديانة أمر جدير بالاهتمام والدراسة الواعية . ويبرز ذلك من خلال تأمل ودراسة الآيات القرآنية والنصوص النبوية المرتبطة بتلك المتغيرات والمستجدات ... وتأثيرها على حياة الانسان سواء في المجتمعات الإنسانية عموماً ، أو المجتمعات الإسلامية على وجه الخصوص ، وتوضيح وظيفة الإنسان بوصفه مستخلفاً عن الله في الأرض في فهمها وتشخيصها ، وفي معرفة أسبابها ونتائجها وآثارها ، وفيما يتطلبه المرء من مواقف شرعية صحيحة في التعامل تجاهها من منطلق فقه الاستخلاف . ومع حقيقة تعدد وتنوع المستجدات والمتغيرات في الكون والحياة الانسانية ، فأن من أبرز تلك المتغيرات والمستجدات اليوم هي التغيرات المناخية بوصفها احدى أهم المستجدات البيئية التي تصعب مواجهتها او التنبؤ بها وإنما علينا البحث عن أساليب للتكيف معها .

ويشير علم فقه التحولات الى نوعين من التغيرات التي أخبرت بها نصوص فقه التحولات من القرآن الكريم والسنة النبوية (فرج 2019) :

الأولى: تغيرات تقع بانفكاك عقدة النظام.

الثانية: تغيرات طارئة تحدث في إطار النظام ذاته.

ويشمل النوع الأول تلك التغيرات التي تقع بالنظام البيئي أو الكوني ككل بقيام الساعة (يوم القيامة)، وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة، ومن ذلك قول الله تعالى:

“فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِّتْ (10)” (المرسلات).

“إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3)” (الانفطار).

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) ” (القيامة).

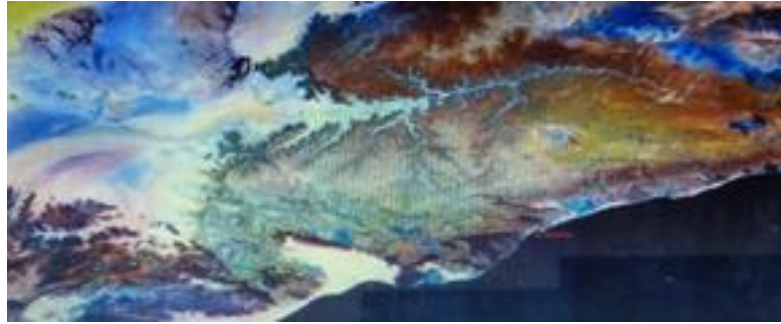
أما التغيرات من النوع الثاني، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوع بعضها، الذي لم يعد غيب- كما كان على عهده صلى الله عليه وسلم- بل صار حقيقة مشاهدة بالعين أو بالدليل اليقيني . وتعد التغيرات المناخية أبرزها .

جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " الذي رواه الأمام أحمد " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة، لا يخاف إلا ضلال الطريق، وحتى يكثر الهرج " قالوا: وما الهرج؟ يا رسول الله، قال: " القتل " (مسند أحمد (427/14)، (8832)) * .

فقوله "حتى تعود " يدل على أنها كانت مروجاً وأنهاراً ! ومن الناحية العلمية تؤكد بعض الدراسات المتتعبة للتاريخ المناخي للمنطقة العربية ، أنه وجدت رواسب نهريّة، تُلاحظ في أماكن عدّة، وقد عُثِرَ على قرية مدفونة تحت الرمال في الربع الخالي، وفيها مواد متحجرة، وقد عُثِرَ على مواد أخرى متحجرة، فلما فُحِصَتْ إذا هي جذوعٌ لأشجارٍ كبيرةٍ» (الناقلي 2005) . كما نشرت مجلة " كواتيرناري ساينس ريفيو" نتائج دراسة مناخية تاريخية، كشفت عن نتائج مذهلة حول المناخ والطقس والبيئة الزراعية في منطقة الشرق الأوسط طوال (20) ألف عام مضى، وبينت الدراسة أنه تم الانتقال من البرودة الجافة للغاية، إلى الأمطار الغزيرة الرطبة، وصولاً للاعتدال الحراري، بعد نهاية العصر الجليدي حينذاك . وأثبتت أن هذا التحول

المناخي كان حدثاً أساسياً خلال تلك السنوات وهو ما شكل البنية الأساسية لتشكيل الحضارات الأولى في منطقة الشرق الأوسط (<https://www.skynewsarabia.com>) .

وعلى المستوى المحلي في حضرموت أكدت إحدى الدراسات التي قام بها فريق من الباحثين الألمان في مطلع عقد الثمانينات من القرن الماضي أن وادي حضرموت كان نهراً جارياً يتجه من الشرق نحو الغرب ليصب في رملة السبعين عند أطراف الربع الخالي ، يدل على ذلك شكل مجراه حالياً الذي يتسع عند رملة السبعين بينما يضيق عند مناطق شرق تريم ومنطقة قسم قبل أن تحصل له ظاهرة الأسر النهري عند وادي المسيلة ، وهي حالة شاذة ومعكوسة عن الأشكال الطبيعية للأودية والانهار في العالم (أنظر الشكل) (1) .



شكل رقم (1) يبين اتجاه مجرى وادي حضرموت نحو الغرب

وبالتالي فإن ذلك يفسر _ بالإضافة الى مؤشرات أخرى_ أن الوادي الجاف اليوم كان نهراً جارياً في يوم (ما عبد الباقي 1987). وحصل أحد الباحثين في هذه الدراسة مؤخراً على حفرة متحجرة لتوقع مائي (أنظر الشكل (2)) في منطقة حوطة سلطانه بمدينة سيئون عاصمة وادي حضرموت، عثر عليها أحد عمال تكسير الاحجار لغرض البناء وجد هذه الحفرة داخل صخرة رسوبية كبيرة !



شكل رقم (2) يبين قوقع مائي متحجر . منطقة حوطة سلطانه . سيئون . (تصوير الباحث أحمد السقاف)

ويبدو مما سبق عرضه أن ما أشير اليه وغيره تعد مؤشرات وأدلة على أن المنطقة التي تصنف اليوم ضمن المناطق المدارية الجافة كانت خضراء وممطرة في يوم ما وهو ما يؤكد ما جاء في حديث الرسول (صلى الله عليه وعلى آله) الأنف الذكر بقوله " حتى تعود " .

نتائج واستنتاجات : مما سبق عرضه توصلت الدراسة الى أهم النتائج والاستنتاجات الآتية:

_ أن التغيرات المناخية ومظاهرها أصبحت حقيقة علمية بدأت مؤشرات ومؤثراتها على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي تظهر في مناطق كثيرة من العالم.

_ أن دراسات تاريخ المناخ في المنطقة العربية ، والتقارير المناخية الحديثة أكدت أن أرض العرب كانت مروجاً، ويمكن أن تعود وفقاً لمؤشرات التغيرات المناخية وتأثيراتها في المنطقة العربية وهو ما يؤكد ما جاء في حديث الرسول ﷺ .

_ أن التغيرات المناخية وتأثيراتها يمكن أن تكون أكثر اتساعاً ووضوحاً مما تبينه الافتراضات الحالية ، وأسوأ مما هو متوقع !

_ ان فصل الوقائع عن القيم وفصل الانسان عن معرفته ... نجم عنه " ذرزة العالم" المادي والعالم البشري كذلك .

_ لن نستطيع أن نواجه كم المشاكل التي تسبب فيها النمط العلمي التقني الحالي الا عندما تكون معرفتنا متحالفة مع القيم والقيم الاسلامية بالذات وتسخر لخدمتها .

_ ان ربط حقائق المستجدات البيئية بالدين الاسلامي لا يعني فقدان حيادية المنهج العلمي بل أظهرت سلامة العقيدة لتوافق النصوص مع الحقائق العلمية التي أثبتتها الوقائع ومستجدات التنبؤات المناخية .

_ أن فقه كون الاسلام آخر الأديان يستوجب أن يكون له موقف وحكم على كل ما يعتري الكون من مستجدات أو متغيرات وهنا تكمن أهمية دراسة علم فقه التحولات .

_ هناك حاجة ماسة لمزيد من البحوث والدراسات في علاقة علم فقه التحولات بمستجدات وتغيرات البيئة وما تشهده من مشكلات وظواهر ومستجدات على المستوى العالمي والمحلي .

التوصيات :

- _ اجراء بحوث ودراسات أخرى تبحث في المستجدات البيئية وفقه التحولات فيما لم تتناوله هذه الدراسة.
- _ اجراء دراسات تربط بين علم فقه التحولات من خلال النصوص القرآنية والاحاديث النبوية وما تواجهه الحياة البشرية من تغيرات نتج عنها مزيداً من المشكلات البيئية التي تهدد الحياة على الأرض .
- _ حث الباحثين على الربط بين المعرفة والعقيدة لإعادة اللحمة بينهما وبما يخدم ترسيخ القيم والعقيدة الإسلامية في شرعيتها ووسطيتها .

المراجع الرئيسة :

- _ أبو دقة ، سيناء إبراهيم (2017) المنهج النوعي في الابحاث التربوية : إيجابيات وتحديات ، عرض (PPT) ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، متاح على شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) بصيغة PDF .

_ بازار ، سالم ربيع (2011)

- _ السقاف ، أحمد محمد (2010) الأخلاق البيئية في الإسلام معايير أساسية لبناء محتوى تعليمي يسهم في تحقيق السلام العالمي وتقارب الثقافات، ورقة مقدمة لاجتماع الخبراء : " سبل تعزيز قيم السلم والتفاهم بين الثقافات من خلال المناهج والمواد التربوية" الذي نظمته اللجنة الوطنية اليمنية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع أيسيسكو (1. 3 نوفمبر) 2010م صنعاء .

- _ السقاف، أحمد محمد ، والسقاف ، سالم محمد (2008) "مخاطر التغيرات المناخية على العمارة الطينية في حضرموت مجلة تقنية البناء، العدد16 نوفمبر2008م ، وزارة الشؤون البلدية والقروية ، المملكة العربية السعودية .

- السقاف ، أحمد محمد (2006) ، "التغيرات المناخية وخطرها على العمران البيئي في حضرموت " ، محاضرة في فرع اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، المكلا ، نوفمبر.

شيا ، محمد (2018) المنهجيات الكمية والكيفية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، محاضرة أقيمت في المعهد العالي للدكتوراه ، الجامعة اللبنانية ، متاحة على شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) بصيغة PDF .

_ علوان ، عبدالله (2006) الشباب المسلم في مواجهة التحديات ، ط2 ، دار السلام للنشر والتوزيع .

_ طلبة مصطفى كمال (1992) إنقاذ كوكبنا : التحديات والآمال ، مركز دراسات الوحدة العربية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة . بيروت.

_ فرج ، صبحي رمضان (2019) التغير البيئي وإشاراته في نصوص السنة النبوية ، متاح على النت على الرابط : <https://quran-m.com//> .

_ المشهور ، أبي بكر العدني ابن علي (2010) الأسس والمنطلقات ، ج 1 ، طبعة تمهيدية ، مركز الابداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث ، عدن الجمهورية اليمنية ، متاح بصيغة PDF .

_ المشهور ، أبي بكر العدني ابن علي (2015) الأسس والمنطلقات في تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات... ، ط 3 ، دار المعين للنشر والتوزيع .

_ المنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO) (2022) تقرير المنظمة عن الاحوال المناخية ، متاح على الرابط : <https://public.wmo.int/en/media/press-release/wmo-update-5050-chance-of-global-temperature-temporarily-reaching-15%C2%B0c-threshold> .

_ موران ، ادغار (2002) تربية المستقبل: المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل ، ترجمة عزيز لزرقي ومنير الحجوجي ، ط1 ، دار توبقال واليونسكو .

_ النابلسي ، محمد راتب (2005) موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ، ط2 ، دار المكتبي ، دمشق ، سورية .

_ الناصر ، وهيب عيسى (2004) مقالة تنقيفية حول: الدفء العالمي ارتفاع حرارة الأرض . عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 3 ، مجلد 32 ، 137 - 179 .

- الهيئة العامة لحماية البيئة (2005) تغير المناخ ، نشرة تعريفية ، وحدة تغير المناخ ، صنعاء .

روابط إلكترونية ومراجع أجنبية :

<https://www.skynewsarabia.com/technology/1481385-%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%94%D9%88%D8%B3%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B5%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%84%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%9F>

_ Ganiga T.and Vijaya Kumara (2008) rainfall data (1977–2003) in the Sultanate of Oman" ،International Journal of Climatology ،29 (4): 607.

_Keith Cressman (2015)،Tropical Cyclone Chapala 28 October 2015 – 4 November 2015 (<https://web.archive.>).

_ Nguyen, Pham Khoi, (2009): Climate change and Sea level rise scenarios, Ministry of Natural Resources and Environment, Hanoi, Vietnam.

_ Suzana J. Camargo ؛Amato T. Evan (2011) A Climatology of Arabian Sea Cyclonic Storms"، " ،Journal of Climate، 24 (1): 140.

_WMO (2011) International Conference on Indian Ocean Tropical Cyclones and Climate Change (https://w FINAL_WWRP_2_TD_No_1541_web_2011.pdf) (PDF) (Report) ،World Meteorological Organization <http://www.wmo.int/pages/prog/arep/wwrp> .